صوارف فهم القرآن الكريم وعلاجها
دراسة موضوعية

إعداد

سامية عاهد محمد حرب

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير

كلية الدراسات العليا
الجامعـــة الأردنيـــة

آب، ٢٠٠٨

قرار لجنة المناقشة

الإهـــــــداء

إلى المسجد الأقصى الذي بشموخه ورباطة جأشه أكسبني قوة الإرادة والشموخ، والذي كان ولا يزال شعلة حق وينبوع هدى يدفعني لأحيى بالحق وأتوق إلى شهادة العلم والحق..

إلى روح والدي الذي كان لي القلب الخافق بحب العلم والحياة، والعقل المشرق بالأمل، والنور الذي يضيء لي ظلمة الطريق ويهديني سواء السبيل..

إلى والدتي التي يعجز اللسان عن إيفائها حقها وذكر فضلها، والتي أرضعتني لبان العزّ والكرامة والتميز والرضا..

إلى إخوتي وأخواتي وأفراد عائلتي..

إلى كل من علمني وأدبني في المدرسة والجامعة وسائر مراحل حياتي..

إلى من أكسبني مهارة الطباعة والحاسوب لإنجاز هذا العمل..

إلى أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، إلى كل من جاهد بلسانه ومداده وسيفه في سبيل إعلاء كلمة الحق..

إلى أخواتي في الله وأهل العلم والخير على كوكب الأرض أقدم هذا العمل راجية من الله تعالى القبول والسداد.

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،،

فلا يشكر الله من لا يشكر الناس، يطيب لي في هذا المقام أن أتوجه بخالص شكري وامتناني لكل من أسهم في إنجاز هذا العمل والوصول به إلى ما وصل إليه، وعلى رأسهم المشرف الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي على ما قدم لي من توجيهات ومساعدة، فجزاه الله خير ما جزى تلميذة عن أستاذها، كما أشكر لجنة المناقشة الذين تكبّدوا عناء قراءة هذا البحث وبذلوا وسعهم في تقديم النصح والإرشاد، والتي تشكلت من :

١- الدكتور أحمد نوفل.

٢- الدكتور أحمد فريد.

٣- الأستاذ الدكتور شحادة العمري.

فجزاهم الله خيراً ونفع بهم أمة الإسلام وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

ولا أنسى أولئك الجنود المجهولين المخلصين الذين لم يقصروا في مدّ يد العون وتقديم المساعدة المادية والمعنوية، حيث بذلوا وقتهم وجهدهم في سبيل متابعة إنجاز هذا العمل والذي أسال الله أن لا يحرمهم أجره وأن يتقبل منهم ما بذلوا وقدموا.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	**ب**
الإهداء	**ج**
شكر وتقدير	**د**
فهرس المحتويات	**هـ**
الملخص باللغة العربية	**و**
المقـدمـــــــة	**١**
الفصل التمهيدي: الدعوة إلى فهم القرآن وتدبره	**٤**
المبحث الأول : حثُّ القرآن على تدبره وفهمه	**٥**
المبحث الثاني: منهج الفهم النبوي للقرآن الكريم	**٢٠**
المبحث الثالث: مفاهيم ومداخل للدراسة	**٣٣**
الفصل الأول: صوارف نابعة من ذات الكيان الإنساني وعلاجها دراسة موضوعية	**٤٥**
المبحث الأول: الصـــوارف العـــقـــديـــة	**٤٦**
المبحث الثاني: الصوارف النفسية والخلقية	**٦١**
المبحث الثالث: الصوارف المعرفية والمنهجية	**٨٣**
الفصل الثاني: صوارف نابعة من البيئة المحيطة وعلاجها	**١٠٧**
المبحث الأول: أثر البيئة الثقافية والتعليمية في الصرف عن فهم القرآن الكريم	**١٠٩**
المبحث الثاني: أثر البيئة الاجتماعية والفكرية في الصرف عن فهم القرآن الكريم	**١٣٨**
المبحث الثالث: أثر البيئة السياسية في الصرف عن فهم القرآن الكريم	**١٥٦**
الخـــاتمـــــة	**١٦٨**
قائمة المراجع	**١٧٠**
الملخص باللغة الإنجليزية	**١٧٩**

صوارف فهم القرآن الكريم وعلاجها دراسة موضوعية

إعداد

سامية عاهد محمد حرب

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي

الملخص

تناولت هذه الدراسة الصوراف التي من شأنها أن تحول دون تدبر القرآن وفهمه انطلاقاً من كونه كتاب هداية وإعجاز ومنهج حياة، صالحاً لكل زمان ومكان ولكل أفراد بني البشر.

و يمكن وصف هذه الدراسة بأنها موضوعية في الأعم الأغلب؛ حيث إنها اعتمدت على استقراء القرآن الكريم واستخلاص هذه الصوارف من الآيات التي ذكرتها أو أشارت إليها من قريب أو بعيد.

لقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يقسم إلى ثلاثة فصول :

الفصل التمهيدي: وقد تناول فهم القرآن الكريم من حيث حثّ القرآن على تدبره وفهمه،وأسس الفهم النبوي للقرآن الكريم، وبعض المفاهيم والمداخل التي تخص الدراسة.

أما الفصل الأول: فقد تحدثت فيه الباحثة عن تلك الصوارف النابعة من ذات الكيان الإنساني عقدية كانت، أم نوازع نفسية، أم أخلاقاً و سلوكيات، أم تعلقت بمعارف الفرد ومنهجه في التعامل مع القرآن الكريم .

وقد جاء الفصل الثاني ليتناول بعض الصوراف النابعة من البيئة التي تحيط بالأفراد تعليمية كانت أم ثقافية، أم اجتماعية وفكرية، أم سياسية، فالإنسان ابن بيئته فلا بد له أن يتأثر بها. ولا تفوت الإشارة إلى أن كل صارف من هذه الصوارف اتبع بمقترحات للعلاج.

وقد توصلت الدراسة الى أن هنالك عوائق قد تحول دون فهم القرآن الكريم على الوجه المطلوب وتلك الموانع قد تخص الفرد من جهة وقد تخص بيئته بمختلف أشكالها من جهة أخرى.

وتوصي هذه الدراسة ببذل الوسع والطاقة لتقوية صلة الناس بكتاب ربهم بوصفه كتاب هداية ومنهج حياة، ولفت النظر إلى تلك الصوارف والتحذير منها، وتهيئة الجو المناسب ليتربى النشء على منهج القرآن الكريم من ينبوعه الصافي غير المكدر بشيء. كما توصي بتوجيه طاقات البحث والدراسة إلى تفسير القرآن وتوضيح منهجية التعامل معه وفق ما يحقق مقاصده ويسمو بأهله، ويقيم حكم الله في الأرض، ويعين الإنسان على تحقيق واجب الاستخلاف الملقى على عاتقه فيها.

المقـــدمـــــــــــة

الحمد لله الرحمن الذي أنزل القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى العدنان محمد بن عبد الله هادي البشرية ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد وعلى آله و صحبه ومن سار على دربه و اقتفى أثره من حملة رسالة القرآن الخالدة إلى يوم الدين، وبعد:

فقد أنزل الله القرآن ليتخذ دستوراً ومنهج حياة للأفراد والجماعات، وقوام حضارة للأمم ولا يتحقق ذلك إلا بفهم هذا الدستور بما يتناسب مع الواقع و المقصد الذي أراده و أنزله لأجله, من هنا جاءت هذه الدراسة تحت عنوان **(صوارف فهم للقرآن الكريم وعلاجها)** كما طرقها القرآن نفسه؛ لتجلي كيف عرض القرآن لهذه الصوارف التي تحول دون تدبره وفهمه، ووصف لها العلاج خاصة في ظل غياب المنهج الصحيح في تدبر القرآن وفهمه وغلبة النظرة الموضعية على النظرة الموضوعية في التعامل مع القرآن الكريم.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تعرض لجملة من الصوارف التي طالما شكلت و تشكل سداً يحول بين كثير من العلماء و العوام وبين تدبر القرآن وفهمه، كما أنها تعرض لوصف العلاج لهذه الصوارف حيث يصبح التعامل مع القران الكريم ذا انعكاس واقعي فعال انطلاقاً من قوله تعالى:

"إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ"(الإسراء:٩).

الدراسات السابقة:

لم أقف في حدود اطلاعي المحدود على مؤلفات تخصصت في هذا الموضوع وأفردته بالبحث والتأليف، إلا أنني وجدت إشارات إليه منثورة في ثنايا كتب وبحوث من أهمها:

١-كتب تفسير القرآن الكريم ومنها: مفاتيح الغيب للفخر الرازي، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب، وغير ذلك.

٢-الكتب التي تحدثت في مناهج المفسرين وضوابط التعامل مع القرآن الكريم ومنها: كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وكتابا كيف نتعامل مع القرآن الكريم للأستاذ يوسف القرضاوي

ومحمد الغزالي، التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي، التفسير أساسياته واتجاهاته للدكتور فضل حسن عباس، مفاتيح التعامل مع القرآن الكريم لصلاح الخالدي، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه للدكتور زياد الدغامين، وغير ذلك.

٣-الكتب التي تحدثت في منهجية التفكير ومنها: فصول في التفكير الموضوعي لعبد الكريم بكار، حول تشكيل العقل المسلم لعماد الدين خليل، أساليب الغزو الفكري لعلي جريشة، وغير ذلك.

٤-رسائل جامعية وبحوث متفرقة ومنها: الظلم في القرآن الكريم للدكتور جهاد نصيرات، مناهج التأليف في القصص القرآني واتجاهاته للدكتور سليمان الدقور، موقف الوحي من التعامل مع التراث الديني اليهودي للدكتور زياد الدغامين وغير ذلك.

منهج البحث:

يرتكز منهج البحث في هذه الدراسة على ما يلي:

١- استخدمت المناهج التالية خلال البحث وهي:

أ- المنهج الاستقرائي: ويتلخص في استقراء القرآن الكريم وجمع الآيات التي عرضت لصوارف فهمه أو أشارت إليها من طرف خفي.

ب- المنهج الوصفي: ويتلخص في تقسيم الدراسة إلى فصول احتوت عدة مباحث .

ت- المنهج الاستنباطي: ويقوم على استنباط الصوارف من الآيات والمصادر التي طرقتها وأشارت إليها.

ث- المنهج التحليلي:وذلك بتحليل الأفكار والتعمق في دراستها قدر الإمكان .

٢- يمكن وصف هذه الدراسة بأنها موضوعية في الأعم الأغلب بمعنى أنها تعتمد على آي القرآن الكريم، إلا إن الحرص على تمام الفائدة وعدم التمكن من الوصول إلى آيات قرآنية تدلل على بعض المفاهيم والأفكار المطروحة حاد بالدراسة عن مسارها الموضوعي في بعض الأحيان .

٣-الحرص على عزو كل نقل إلى مصدره وكل قول إلى قائله ورد الفضل إلى أهله .

خطة الرسالة :

اقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم إلى ثلاثة فصول كل منها يحتوي على ثلاثة مباحث ثم ألحقت بخاتمة وفهارس وذلك على النحو التالي :

١-الفصل التمهيدي: الدعوة إلى فهم القرآن وتدبره، ويشمل:

المبحث الأول : حث القرآن على تدبره وفهمه .

المبحث الثاني: منهج الفهم النبوي للقرآن الكريم .

المبحث الثالث: مفاهيم ومداخل للدراسة .

٢-الفصل الأول : صوارف نابعة من ذات الكيان الإنساني وعلاجها،ويشمل :

المبحث الأول: الصوارف العقدية .

المبحث الثاني: الصوارف النفسية والخلقية .

المبحث الثالث: الصوارف المعرفية والمنهجية .

٣- الفصل الثاني: صوارف نابعة من البيئة المحيطة وعلاجها،ويشمل :

المبحث الأول: أثر البيئة الثقافية والتعليمية في الصرف عن فهم القرآن الكريم .

المبحث الثاني: أثر البيئة الاجتماعية والفكرية في الصرف عن فهم القرآن الكريم .

المبحث الثالث : أثر البيئة السياسية في الصرف عن فهم القرآن الكريم .

٤- الخاتمة : وسأبين فيها ما أتوصل إليه من نتائج و توصيات إن شاء الله تعالى .

هذا وإن كل عمل بشري لا بد أن يعتريه نقص بالغاً ما بلغ فلا كمال إلا لله، ولو استقبلت من امري ما استدبرت لحرصت على أن يكون خيراً مما قدمت، والله أسأل أن يتقبل هذا العمل المتواضع ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وينفع به من قرأه إلى يوم الدين، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وهو الهادي الى سواء السبيل .

الفصل التمهيدي

الدعوة إلى فهم القرآن وتدبره

أنزل الله القرآن ليكون دستوره الأمثل ورسالته الخالدة التي قدر لها أن تكون المرجع لمن أوكل له مهمّة الخلافة في الأرض وعمارتها والقيام بأمر الله فيها؛ لذلك كان حرياً بمن حمل تلك الرسالة وانتهج ذاك الدستور أن يجيل نظره فيه ليدرك مقاصده ومراميه، ويستنطق تعاليمه وتوجيهاته حتى يتسنى له فهمه ويكون ذاك الفهم باعثاً على العمل الدؤوب لترجمة القرآن وإحيائه في حياته، وعليه أن يتجاوز كل ما من شأنه أن يحول دون تدبره وفهمه وتمثله ويصرفه عن ينبوعه الصافي. وقبل الخوض في ما يمكن أن يحول بين أهل القرآن وكتابهم من صوارف الفهم تنبغي الإشارة إلى أمور ثلاثة:

الأول: كيف حث القرآن على تدبره وفهمه وأهمية ذلك.

الثاني: كيف ترجم الرسول محمد -ﷺ- ما نزل إليه من كتاب الله تعالى في حياته الفكرية والعملية؛ وذلك من خلال طرح النماذج للفهم النبوي للقرآن الكريم.

الثالث: دراسة قرآنية استقرائية توضح الألفاظ التي عبر بها القرآن عما يحمل معنى الصرف.

وسيتم عرض تلك الأفكار الثلاثة. في ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول

حثُّ القرآن على تدبره وفهمه

من الطبيعي الدارج أن يكون الحث على استكناه شيء وفهمه والتأمل فيه صادر عن طرف خارج عن ذلك الشيء، فالمدرس يقول لتلاميذه –مثلاً–: عليكم بفهم ذلك الدرس، ومدرب الرياضة يقول: عليكم الإحاطة بقواعد تلك اللعبة، ولكن إذا كان الحث واستفزاز العقل إلى الإقبال والانهماك في التحليل والتدبر والتأمل نابعاً من ذات الشيء فذاك هو الأجمل والأوقع في النفس. وها هو القرآن بما حوى من آيات وسور كريمات قرآنية تحمل أنفس المعاني وأصدق الدلائل على ربانية مصدره يدعو إلى التدبر العميق الموصل إلى الفهم الصحيح الذي يأسر القلب والعقل، ويأخذ بالفكر فيكون باعثاً على العمل والتنفيذ وإحياء المعاني في واقع الفرد والمجتمع والأمة، وإذا أضيف إلى تلك الدعوة الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية عن ذلك الكتاب، والإيمان بأهمية تدبره وفهمه بوصفهما وسيلة لتأخذ الرسالة مكانها، وتؤدي وظيفتها، فذلك باعث أقوى؛ لذا لم يكتف القرآن بالحث على تدبره بل أضاف إلى ذلك إشعار تاليه بأهمية تجنيد الوسائل وإعمال الآلات التي تعين عليه.

وتتلخص أهمية فهم القرآن وتدبره فيما يلي:

<u>أولاً</u>: الاستعانة على الحفظ: لا يخفى ما لاستظهار القرآن الكريم في قلوب أهله من الأهمية البالغة في فهم القرآن وتدبره، حيث إن الحفظ الدقيق هو الذي يصل بصاحبه إلى أن يستجمع آيات القرآن وسوره من أوله إلى منتهاه، فيدرك المتشابه اللفظي منه، والاختلاف في مفردات التعبير عن المقصد من آية إلى آية، ومن سورة إلى سورة، بل وفي القرآن كله، فما الفرق –مثلاً– بين قوله تعالى في سورة البقرة: "وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ"(البقرة:١٧٣)، وبين قوله تعالى في سورة المائدة: "وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ"(المائدة:٣)؟ وما الفرق بين التعبير بـ (جاء) في قصة سيدنا موسى –عليه السلام– الواردة في سورة النمل: "فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا"(النمل:٨)، والتعبير بـ(أتى) في القصة ذاتها الواردة في سورتي طه والقصص: "فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ"(طه:١١)، "فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ" (القصص:٣٠).

كما لا يخفى– بالمقابل– ما لتدبر القرآن وفهمه من الأثر البالغ في العون على استظهار القرآن الكريم، إذ كيف يتصور أن يعي القرآن قلب لا يفهم ما تيسر له من معانيه أو يدرك ما يمكنه إدراكه من سياقه وروابطه والمناسبات بين آياته وسوره؟ وإن الخلط في خواتيم الآيات والمتشابه منها وغير ذلك من مظاهر عدم رسوخ القرآن في الذاكرة ناشئ بشكل كبير عن التقصير في إعمال الحواس والآلات التي تقوي ملكة التدبر الشامل والفهم الدقيق ذي الأثر البالغ في الحفظ الراسخ المتين. يشير الأستاذ يوسف القرضاوي إلى تميز أمة الإسلام بحفظ كتابها بقوله: (أمة متميزة بالحفظ، عرف ذلك في الشعر وغيره فكيف بكتابها المقدس؟ ساعد على ذلك سهولة القرآن وعذوبته والترغيب في حفظه، فحفظه من الأمة أعداد هائلة على مدار التاريخ. حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أمتنا ليست مثل أهل الكتاب الذين لا يحفظون كتبهم في قلوبهم، بل لو عدمت المصاحف كلها، كان القرآن محفوظاً في قلوب الأمة) [١] ولا يمكن أن يتأتى ذلك الحفظ الدقيق ويتشكل ذلك المصحف المتحرك إلا من وعي وفهم وحسن تدبر، ولعل هذا ما قصده الأستاذ محمد الغزالي في اعتراضه على تغليب الاهتمام بحفظ القرآن وتدريس أحكام التجويد على حساب الاهتمام بالفهم الواقعي للقرآن الكريم، فهو لا يقلل من أهمية الحفظ والتجويد لكنه ينعى على أولئك الذين لا تتجاوز مداركهم حروف القرآن.[٢]

ثانياً: الاستعانة على تفسير القرآن الكريم:

هناك سؤال يطرح نفسه في هذا المقام مفاده: هل التفسير هو عين الفهم؟ للإجابة على هذا السؤال لا بدّ من توضيح معنى كلا المصطلحين.

التفسير في اللغة: الإيضاح والبيان والكشف. قال في القاموس: (الفسر: الإبانة وكشف المغطى)[٣]

والتفسير اصطلاحاً: بيان كلام الله، إذ إنه العلم المبين لألفاظ القرآن و مفهوماته[٤].

أما الفهم فهو: علم الشيء وإدراكه والإحاطة بكلياته وجزئياته وسائر أبعاده.[٥]

---

[١]– القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ط١، مؤسسة الرسالة، لبنان، ٢٠٠١م، ص٣٥.

[٢]– ينظر: الغزالي، محمد، كيف نتعامل مع القرآن، ط٣، دار الوفاء، المنصورة ١٩٩٢م، ص٢٧.

[٣]– الفيروز آبادي، أبو طاهر بن يعقوب، القاموس المحيط، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان ٢٠٠٤، ص١٣٢٣ .

[٤]– الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الأرقم، لبنان، ج ١، ص١٠.

[٥]– ينظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، اعتنى به: محمد عوض و فاطمة أصلان، ط١، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ٢٠٠١، باب الفاء، فصل الميم.

قال في اللسان: (الفهم: معرفتك الشيء بالقلب)[١]. واللافت أن كلا المصطلحين وردا مرة واحدة في كتاب الله فقد قال تعالى في عُرض الحديث عن موقف المشركين من الرسول والرسالة، واعتراضهم على نزول القرآن مفرقاً: "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا" (الفرقان:٣٣)، كما قال في سورة الأنبياء في شأن داوود وسليمان –عليهما السلام–: "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ"(الأنبياء:٧٩)

وإن المتأمل في تعبير القرآن بلفظ التفسير يلاحظ أنه قصد الإيضاح والبيان البالغ الغاية في الحسن، أما الفهم فهو شمولية الاستيعاب للفكرة والإحاطة بها مع دقة التعبير عنها، تقول د.بنت الشاطئ: (يبدو أننا بحاجة إلى أن نضع الحدود الفاصلة بين ما يباح وما لا يباح من تأويل كلمات الله في كتاب الإسلام، بين حق كل إنسان في أن يفهم القرآن لنفسه وبين حرمة تفسيره للناس لا تبيحه بغير ذوي الدراية به، بعد أن شغلت الأمة بهذا الخلاف الطارئ، وقيل فيما قيل إن التفسير مباح لكل من يشاء)[٢].

إن من يقرأ المقولة السابقة والشروط التي وضعها المفسرون وأصحاب الاختصاص لمن يجند نفسه لتفسير القرآن الكريم يلمس التشدد الواضح والقيود الصارمة التي تقف حجر عثرة أمام من يريد تفسير القرآن، فهم يشترطون أن يكون موهوباً وعالماً بالأصول وفقيهاً وعالم لغة وغير ذلك[٣]، و لا يمكن أن تجتمع هذه الشروط في شخص واحد كما أن معظم هذه الشروط تعدّ غايات من تفسير القرآن لا آلات له؛ ذلك أن القرآن هو منبع الفقه والعقائد و الأصول وحتى اللغة في كثير من الأحيان، ولا يعني هذا أن يكون التفسير غير منضبط ومنبثق عن هوى نفس أو الإعجاب بفكرة، بل إن المفسر يجب أن يكون ذا دراية باللغة– بوصفها آلة فهم القرآن– وقواعد النحو والبلاغة، وقدرة على فهم السياق والتعبير عن المطلوب في ضوء ما يجلي مقاصد القرآن وكونه كتاب هداية وإعجاز ومنهج حياة، فلا يشترط إذاً أن يكون نحوياً نحريراً كسيبويه، ولا فقيهاً متمرساً كأبي حنيفة، بل يكفي أن يكون ذا غيرة على دينه وأمته وفهم لواقعه وطموح لمستقبل واعد بسواد الإسلام وسيادته في العالم، كما لا يشترط أن يفسر القرآن من أوله إلى آخره آية آية بل يقبل أن يكتب في تفسير آية أو جملة آيات

---

[١]– ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، باب الميم، فصل الفاء.

[٢]- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، القرآن وقضايا الإنسان، دار المعارف، القاهرة، ص٣١٥، ٣٢٧.

[٣]- ينظر: الذهبي، التفسير و المفسرون، ج١، ص١٧٦–١٨٠.

أو حتى سورة تفسيراً واعياً عملياً حياً مفهوماً للجميع بعيداً عن الإغراق في العلوم الجامدة والمساجلات الفلسفية والكلامية.

من خلال توضيح معنى المصطلحين يتبين أن التفسير والفهم شيئان مختلفان وإن جمعتهما علاقة وثيقة، فكما أن الفهم وسيلة للتفسير فهو غاية منه، إذ لا يمكن توضيح المعاني والمفاهيم للعيان من قبل مفسر القرآن إلا إذا أشرب القرآن في عقله وقلبه ووجدانه وأحاط بما يتسنى له من المفاهيم والمدركات –ففاقد الشيء لا يعطيه– كما لا يسمى التفسير تفسيراً إلا إذا أدى الغاية منه وهو الوصول إلى فهم أمثل جدير بأن يوصل إلى فهم فكري عملي واقعي منهجي للقرآن الكريم.

فكما أن التفسير غاية الفهم الفردي فإن الفهم الذي تنبثق عنه الحياة بالقرآن هدف فردي وجماعي، إذ هو مقصد الله من إنزال كتابه حيث يقول: "وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"(النحل:٤٤)، ويقول: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ"(النحل:٨٩)، فهداية القرآن ورحمته الشاملة العامة التي تنزل بها، وتبشيره بالخير لمن استمسك ومسّك به واتبع هداه في الدنيا والآخرة، وتحقيق الحياة بالقرآن والتي هي العبادة المرجوة من خلق الله للجن والإنس قال تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"(الذاريات:٥٦)، لهو دليل ساطع على أن فهم القرآن هو الغاية المرجوة من تفسيره وتدبره المعين على تفسيره؛ لذلك كله كان تدبر القرآن وفهمه معيناً مباشراً ومثلاً حياً لمن يريد توضيح القرآن لغيره.

فلولا التدبر والفهم ما تشكل تراث تفسيري ضخم يتعامل مع القرآن ويبرز مقاصده من منطلقات شتى، ولولا التفسير عموماً والتفسير الذي ينطلق من الواقع إلى القرآن ومن القرآن إلى الواقع على حد سواء محدداً مقاصد القرآن وحاجة الواقع إلى القرآن، ما كان هناك فهم يحقق الشهود الحضاري والتاريخي لأمة الإسلام[١].

<u>ثالثاً</u>: الاستعانة على التطبيق الحركي العملي للقرآن الكريم وتفعيله في الواقع المعيش:

لم يتنزل القرآن الكريم ليكتب ويعلق على الصدور للحماية من ضراء النوازل، أو ليكتب ويزخرف ويعلق على جدران المنازل، أو ليكون أسير خرافات يتعامل بها ضعاف العقل، والذين في قلوبهم مرض، لكنه قائد إلى الخير بكل ما أوتيت الكلمة من معنى، فهو السلاح المعنوي الأول والأوحد في معركة الصراع بين الحق والباطل إلى قيام الساعة بكل أشكاله، وضد كل الأعداء الذين من شأنهم أن يخترقوا الصف الإسلامي فيصدوا عن سبيل الله من آمن يبغونها عوجاً، يقول الشهيد

[١] ينظر: الدغامين، زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ط١، دار عمّار، الأردن، ٢٠٠٧، ص٥٩.

سيد قطب موضحاً أهمية التدبر والفهم في الحياة بالقرآن: (تدبر القرآن واجب، والحياة به ضرورة، والحياة في ظلاله نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة تبارك العمر وترفعه وتزكيه، ولا يدرك هذا إلا من عاش في ظلال القرآن فعلاً، وتذوق من مظاهر هذه النعمة ما تذوق، ولمس من آثارها ما لمس، ووقف على ما فيها من أنس وسعادة، وراحة وطمأنينة، واسترواح وانشراح)[١] وكأن صاحب الظلال بمقولته هذه يوضح أنه لا يمكن العيش العملي بالقرآن إلا إذا سبقه عيش فكري قلبي وجداني مع القرآن، فمن ذاق عرف والمعرفة أساس الحياة الحقة.

رابعاً: تحقيق الشهود الحضاري لأمة الإسلام:

إن عالمية رسالة الإسلام تقتضي سيادته وقيادته للبشرية على مر العصور؛ لذا فلا بد أن يكون لها المحورية في بناء الحضارات المثالية في كل حقبة تاريخية وفي كل مكان على وجه الأرض، وإذا كان ذلك كذلك فرسالة الإسلام عنوان لتميز الحضارة، وشاهد على استحقاقها للقيام والكينونة، يقول تعالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا" (البقرة:١٤٣)، ولكن ما معنى الشهود الحضاري؟ وكيف يصل تدبر القرآن وفهمه بأمة الإسلام إلى نيل هذه الحظوة، والوصول بتلك الرسالة إلى ذاك الشهود؟ يمكن تلخيص معنى الشهود الحضاري في خمس نقاط رئيسة:

أ-**استصحاب تاريخ الأمم السابقة**، وحديث القرآن عن قصصهم التي حوت جملة من العبر والعظات الواقعية، وهو ما يسمى بالسنن التاريخية، يقول تعالى: "قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ"(آل عمران:١٣٧).

ب-**فهم موقف القرآن وتصوراته للمجتمع المسلم الأمثل**، وسنن الله فيه وموقفه ممن يحاول خرق تلك السنن الاجتماعية.

ج-**فهم الكون والسنن الطبيعية التي أودعها الله فيه**، وبديع صنع الله الذي أتقن كل شيء، إذ إن الكون مسخر لخليفة الله في أرضه (الإنسان) فإذا لم يفهم الخلافة على ضوء ما سخره الله له كان

[١]- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، لبنان، ط٢٥، ١٩٩٦م، ج١، المقدمة.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين بن عبد الله محمد بن أبي بكر، **الفوائد**، تحقيق أبو عرام أحمد المقدسي، دار البيت العتيق الإسلامية، الأردن، ٢٠٠٤م.

ابن كثير، عماد الدين، **تفسير القرآن العظيم**، دار صبح، بيروت، ادفيست –الدار البيضاء.

الكواكبي، عبد الرحمن، **طبائع الاستبداد**، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمود محمد نصار، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب، **أدب الدنيا والدين**، اعتنى به محمد أبو الخير، محمد شرقاوي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم**، دار الفكر، لبنان، ٢٠٠٠م.

المثنى، عبد الفتاح محمود، **نظرية السياق القرآني**، دار وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٨م.

المجالي، محمد خازر، **الوجيز في علوم الكتاب العزيز**، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط٣ ، ٢٠٠٦م.

مسلم، ابن حجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، دار السلام، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

منصور، أنطوان، **اقتصادي وصمود**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

الميداني، عبد الرحمن حبنكة، **ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٣م.

النسائي، أحمد بن شعيب، **المجتبى من السنن**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٩٨٦م.

نوفل، أحمد إسماعيل، **إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته**، دار الفضيلة، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.

نوفل، أحمد، **الحرب النفسية من منظور إسلامي**، دار الفرقان، عمّان،١٩٨٥م.

ابن هشام، جمال الدين ابن يوسف، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، مطبعة المدني، القاهرة.

ابن هشام، محمد عبد الملك، **السيرة النبوية**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٦٨م.

يعقوب، طاهر محمود محمد، **أسباب الخطأ في التفسير**، دار ابن الجوزي، ط١.

OBSTACLES OF UNDERSTANDING THE HOLY QURAN AND METHODS OF DEALING WITH THEM: A THEMATIC STUDY

By
Samia Ahed Mohammad Harb

Superviser
Dr. Mohammad Khazar Al-Majaly

ABSTRACT

This study deals with the obstacles that inhibit a clear and right understanding of the Holy Quran which is described as a book of guidance, miracle and a way of life a book that is right for all times, places and mankind. In general, this thematic study is based on empirical method, extracting the verses which state such obstacles.

The study consists of three chapters: the introductory chapter which deals with the concept of pondering over the Quran from Quranic Prophetic perspective. It deals also with some of the essential and basic concepts related to the study. In chapter one, the researcher points out some of the obstacles related to the addressees, their beliefs, psychological desires, morals and behaviors or their system of knowledge. It also suggests a number of methods for dealing with the Holy Quran. In chapter two the research deals with the obstacles stemming from the educational, cultural, social, intellectual or political environment of the addressee, since s/he is considered one of its integral parts and therefore will be obviously affected by it. It is worth mentioning that each obstacle of understanding is followed by suggestions to handle it. The study concludes that the obstacles that hinder a true and right understanding of the Holy Quran are either related to the individual himself or to the environment around him.